# الرسالةُ العاشرةُ

# التوسُّلُ أحكامُهُ ومسائلُه (١)

(١) أصلُها: مقدِّمةُ تحقيق كتاب: «التوصُّلْ، إلى حقيقةِ التوسُّلْ».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ للهِ نَحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستغفِرُه، ونعوذُ باللهِ مِن شرورِ أنفسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهْدِ اللهِ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأَشهَدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأَشهَدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ﷺ.

## أمَّا بعدُ:

فإنَّ دعاءَ اللهِ تعالى والتوسُّلَ إليه أمرٌ واجبٌ على العبادِ؛ حتى يقوموا بالتوحيدِ الذي أوجَبَهُ عليهم ربُّهم ﷻ، ويحقِّقوا مقامَ العبوديَّةِ لخالِقِهمْ ومولاهُمْ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

واللهُ سبحانه أمَرَ عبادَهُ أن يَدْعُوه، ووعَدَ بإجابتِهم، وأخبَرَ أنَّ مَن تكبَّر عن دعائه، فإنَّ جزاءَهُ جهنَّمُ وبئسَ المصير.

قال أبو سليمانَ الخَطَّابيُّ: «وقال آخَرونَ: «الدعاءُ واجبٌ، إلا أنَّه لا يُستجابُ منه إلا ما وافَقَ القضاءَ»؛ وهذا هو المذهبُ الصحيحُ، وهو قولُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة»[(١)].

**قلتُ**: ومِن الدعاءِ الواجبِ: سؤالُ اللهِ الهدايةَ؛ ولذا أوجَبَ اللهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على عبادِهِ تَكْرارَ سؤالِهِ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الهدايةَ في يومِهم وليلتِهم؛ كما في قولِهِ تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

وقد دلَّت النصوصُ ـ كما هو معروفٌ ـ على وجوبِ قراءةِ الفاتحةِ في كلِّ الصلوات.

وقد بيَّن اللهُ تعالى عن كيفيَّةِ دعائِهِ والتوسُّلِ إليه؛ فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ

---

(١) «شأن الدعاء» (ص٨).

رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦]:

قال ابنُ جريرٍ في تفسيرِ هذه الآيةِ: «ادعُوا ـ أيُّها الناسُ ـ ربَّكم وحده؛ فأَخلِصوا له الدعاءَ، دون ما تَدْعُونَ مِن دونِهِ مِن الآلهةِ والأصنام، تذلُّلًا واستكانةً لطاعتِه، بخشوعِ قلوبِكم، وحُجَّةِ اليقينِ منكم بوحدانيَّتِه فيما بينكم وبينه، لا جِهارًا ومُراءاةً وقلوبُكُمْ غيرُ مُوقِنةٍ بوحدانيَّتِهِ وربوبيَّتِه؛ فِعْلَ أهلِ النفاقِ والخداعِ للهِ ورسولِه»[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة: ٣٥]، و«الوسيلةُ»: هي التقرُّبُ إليه بما شرَع.

**ومِن ذلك**: التوسُّلُ المشروعُ الذي بيَّنه لعبادِهِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

يأمُرُ ربُّنا ﷻ أن ندعُوَهُ ونتوسَّلَ إليه بأسمائه الحسنى.

وكما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وأخرَجَ أبو داودَ وغيرُهُ؛ مِن حديثِ مالكِ بنِ مِغْوَلٍ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ بُرَيْدَةَ، عن أبيه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رجلًا يقولُ: «اللَّهُمَّ، إنِّي أسأَلُكَ أنِّي أَشهَدُ أنَّكَ أنتَ اللهُ، لا إلٰهَ إلا أنتَ، الأحدُ الصَّمَدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكُنْ له كُفُوًا أحدٌ، فقال: «**لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[2].

---

(١) «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٣ و١٤٩٤)، والتِّرمِذي (٣٤٧٥)، والنَّسائي في «الكبرى» (٧٦١٩)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وعبد الرزَّاق (٤١٧٨)، وابن أبي شَيْبة (٢٩٩٧٣ و٣٦٧٥٧)، =

.................................................................................

= وأحمد (٢٢٩٥٢ و٢٢٩٦٥ و٢٣٠٤١)، والرُّوياني (٢٤)، والطحاوي في «المشكِل» (١٧٣)، وابن حِبَّان (٨٩١ و٨٩٢)، والطَبَراني في «الدعاء» (١١٤)، وابن الضُّرَيْس في «فضائل القرآن» (٢٧٩)، والحاكم (١/ ٥٠٤)، والبيهقي في «الدعوات» (١٩٥)، والخطيب في «التاريخ» (٩/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨)، والبَغَوي في «شرح السُّنَّة» (١٢٥٩) و(١٢٦٠)، والأَصبَهاني في «الترغيب والترهيب» (٨٥ و١٣١٤)، وعبد الغني المَقدِسي في «الترغيب في الدعاء» (٥٤):

كلُّهم مِن طريق مالك، به، وإسنادُهُ جيِّد؛ فمالكٌ ثقةٌ ثبت، وعبدُ اللهِ بنُ بُرَيْدَةَ ثقةٌ مشهور، خرَّج له الجماعة، وقد صرَّح بالسماع مِن أبيه في أكثَرَ مِن حديث، وحديثُهُ عن أبيه عند الشيخَيْن، وصحَّح له التِّرمِذيُّ أكثَرَ مِن حديثٍ عن أبيه، وقال عن هذا الحديث: «حسَنٌ غريب»، وصحَّحه ابنُ حِبَّانَ والحاكمُ، وقال: «على شرطِ الشيخَيْن».

وقال أبو الحسَن المَقدِسي ـ كما في «الترغيب» للمُنذِري (٢/ ٣١٧) ـ: «وإسنادُهُ لا مَطعَنَ فيه، ولم يَرِدْ في هذا البابِ حديثٌ أجوَدُ منه».

وقال أبو عبد الله ابن مَنْدَه في «التوحيد» (٢/ ٦٠): «هذا حديثٌ مشهورٌ عن مالكِ بنِ مِغْوَل».

وذكَرَهُ عبد الغني في كتابه «النصيحهْ، في الأدعيةِ الصحيحهْ» (ص٦٩)؛ وهذا يفيدُ تصحيحَهُ له؛ كما ذكَرَ ذلك في مقدِّمةِ كتابه.

وقال الحافظُ ابن حجَر في «الفتح» (١١/ ٢٢٥) عن حديثِ بُرَيْدة: «هو أرجحُ مِن حيثُ السنَدُ مِن جميع ما ورَدَ في ذلك»، وحسَّنه السخاوي؛ كما في «الفتوحات الربَّانية»؛ لابن عَلَّان (٧/ ١٣٩»).

وقد جاء هذا الحديثُ مِن طريق شَرِيكٍ، عن أبي إسحاق، عن ابن بُرَيْدة، به؛ أخرجه الحاكم (١/ ٥٠٤)، ولكنْ قال أبو عيسى التِّرمِذي: «إنما أخذه أبو إسحاق، عن مالك بن مِغْوَل».

ويؤيِّدُ ما قاله أبو عيسى: أنَّ زُهَير بن معاوية ـ وهو أوثَقُ مِن شَرِيكٍ ـ رواه عن أبي إسحاق، عن مالك، به؛ كما أخرجه التِّرمِذيُّ، والبيهقي، والخطيب.

وتابعَهُ الثَّوْريُّ؛ كما ذكَرَ ابن مَنْدَه.

وأيضًا: قد جاء مِن طريق شَرِيك، عن أبي إسحاق، عن مالك، به؛ كما أخرجه الطَّحَاويُّ، والأَصبَهانيّ؛ ولذلك قال الخطيب: «واختُلِفَ عن شَرِيكٍ فيه».

فالصواب: أنَّ أبا إسحاقَ رواه عن مالك، عن ابن بُرَيْدة، به، وقد ذكَرَ ابن مَنْدَه في «التوحيد»: أنَّ الثوريَّ رواه عن أبي إسحاق، عن مالك، ثم سَمِعَهُ مِن مالك.

ورواه إسماعيلُ بنُ مسلِم، عن ابن جُحَادةَ، عن سليمانَ بنِ بُرَيْدة، عن أبيه. =

= ورواه عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ، عن محمَّد بن جُحَادةَ، عن رجل، عن سليمان بن بُرَيْدة عن أبيه. ينظر: «تحفة الأشراف» (٢/ ٩٠).

وروايةُ عبد الوارث أصحُّ؛ لأنَّ معه زيادة عِلْم، وهو ثقةٌ ثبت، وأمَّا إسماعيلُ بنُ مسلِم: فإنْ كان هو المكيَّ ـ وهذا هو الذي يبدو لي ـ فهو متروك، ويَحتمِلُ أنه العَبْدي.

ورواية عبد الوارث وصَلَها: عبدُ الغني بن عبد الواحد في «الترغيب في الدعاء» (٥٥)، وابن السُّنِّيِّ في «عمَل اليوم والليلة» (٧٥٨)؛ ولكنْ ليس عند ابن السُّنِّيِّ: «عن رجل»؛ والصوابُ ما تقدَّم.

وقد خالف حُسَيْنٌ المعلِّم مالكَ بنَ مِغْوَلٍ في هذا الحديث:

فرواه عن ابن بُرَيْدة، ثني حَنظَلةُ بنُ علي؛ أنَّ مِحجَنَ بنَ الأدرَعِ حدَّثه أنَّ رسول الله ﷺ؛ فذكَرَ نحوه؛ أخرجه النَّسائيُّ في «الصغرى» (١٣٠١)، و«الكبرى» (١٢٢٥ و٧٦١٨)، وأبو داود (٩٨٥)، وابن خُزَيْمة (٧٢٤)، وأحمد (١٨٩٧٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٨٥)، والطبَراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٩٦ رقم ٧٠٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٧)، والحاكم (١/ ٢٦٧)، وقال: «صحيحٌ على شرط الشيخَيْن»، وأبو نُعَيْم في «المعرفة» (٥/ ٢٥٧٣)؛ كلُّهم مِن طريق عبد الوارث بن سعيد، عن حُسَيْن المعلِّم، به.

قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢٠٨٢): «سألتُ أبي عن حديثٍ رواه مالكُ بنُ مِغوَل، عن ابن بُرَيْدة، عن أبيه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ دخَلَ المسجدَ، فإذا رجُلٌ يقولُ: «يَا أَللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ...»، فذكَرَ الحديثَ، قال أبي: رواه عبد الوارث، عن حُسَيْن المعلِّم، عن ابن بُرَيْدة، عن حَنظَلةَ بنِ علي، عن مِحْجَنِ بنِ الأدرَع، عن النبيِّ ﷺ؛ وحديثُ عبدِ الوارثِ أشبهُ».

وخالَفَهُ ابن مَنْدَه؛ فقال في كتابه «التوحيد» (٢/ ٦٠): «هذا حديثٌ مشهورٌ عن مالك بن مِغْوَل؛ رواه الثَّوْري، عن أبي إسحاق، عن مالك، ثم سَمِعَهُ مِن مالك، ورواه محمَّد بن جُحَادة، عن ابن [بُرَيْدة]، عن أبيه، وخالَفَهما حُسَيْن المعلِّم؛ وحديثُ مالكٍ أشبه.

قلتُ: ووجهُ ما ذهَبَ إليه أبو حاتمٍ والله أعلم: أنَّ روايةَ حُسَيْن المعلِّم تخالِفُ الجادَّةَ في حديث عبد الله بن بُرَيْدة؛ لأنَّ أكثرَ روايتِهِ عن أبيه؛ فروايةُ حُسَيْن عن ابن بُرَيْدة خالفت الجادَّةَ في ذلك، وكثيرًا ما يرجِّحُ الحفَّاظُ بهذا السبب؛ لأنَّ مَن خالَفَ الجادَّةَ يكونُ مَظِنَّةَ حفظِهِ على غيره.

ووجهُ ما ذهَبَ إليه أبو عبد الله ابن مَنْدَه ـ والله أعلمُ ـ: أنَّ مالك بن مِغْوَل ثقة ثبت؛ كما قال أحمد، وقال ابنُ حِبَّانَ في «الثقات» (٧/ ٤٦٢): «كان مِن عُبَّادِ أهلِ الكُوفة، =

= ومُتقِنيهم»، واتفَقَ الأئمَّةُ على توثيقِه.
فظهَرَ: أنَّ مالك بن مِغْوَل أوثَقُ بكثيرٍ مِن حُسَيْن المعلِّم.
وأنا أذهَبُ إلى قولِ ابنِ منده؛ ودليلُ ذلك:
أوَّلًا: أنَّ مالك بن مِغْوَل أوثَقُ مِن حُسَيْن المعلِّم؛ كما تقدَّم.
ثانيًا: أنَّ روايةَ حُسَيْن المعلِّم عن ابن بُرَيْدة متكلَّمٌ فيها؛ قال ابنُ المَدِينيِّ: «لم يَرْوِ حُسَيْن المعلِّم، عن ابنِ بُرَيْدَةَ، عن أبيه، إلا حرفًا واحدًا، وكلُّها عن رجالٍ أُخَر»، وقال نحوَ ذلك أبو داود؛ فهذا يفيدُ: أن حُسَيْنًا المعلِّمَ لم يَسمَعْ مِن ابنِ بُرَيْدةَ إلا شيئًا قليلًا، وأنَّ الغالبَ أنَّ بينهما واسطةً.
ثالثًا: أنَّ هذا الحديثَ قد جاء مِن طريقٍ أخرى عن سليمانَ بن بُرَيْدة، عن أبيه، وإنْ كانت هذه الطريقُ لا تصحُّ، ولكنَّها تؤيِّدُ روايةَ مالك بن مِغْوَل.
مع أنَّ هذا الاختلافَ لا يؤثِّرُ على صحةِ الحديث؛ لأنَّ الطريقَ الثانيةَ صحيحةٌ لو قلنا بترجيحِها، وحنظلةُ بنُ علي ثقة، والله أعلم.
طريقٌ آخر: قال الطبَرانيُّ في «المعجَم الصغير» (١٠٣٨)؛ ومِن طريقِهِ الخطيب البغدادي في «التاريخ» (٣/ ١٥٧)، والضياء في «المختارة» (٤/ ٣٥١ ـ ٣٥٢ رقم ١٥١٤): حدَّثنا محمَّد بن داود بن الجرَّاح أبو عبد الله الكاتب، حدَّثنا عُبَيْد الله بن سَعْد الزُّهري، حدَّثنا عمِّي
يعقوب بن إبراهيم بن سَعْد، حدَّثنا أبي، عن محمَّد بن إسحاق، حدَّثنا عبد العزيز بن مسلِم مولى آل رِفاعة بن رافع الأنصاري، حدَّثني إبراهيم بن عُبَيْد بن رِفاعة بن رافع، عن أنَس بن مالك؛ قال: «مَرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بأبي عائشٍ زيدِ بنِ الصامتِ ـ أحدِ بني زُرَيْقٍ ـ وقد جلَس، وقال: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، يَا مَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»، فقال رسولُ اللهِ ﷺ لِنفَرٍ معَهُ مِن أصحابِهِ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا دَعَا بِهِ الرَّجُلُ؟**»، فقالوا: «اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ»، قال: «**لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».
قال الطبَرانيُّ: «لم يَروِهِ عن إبراهيمَ إلَّا عبدُ العزيزِ بنُ مسلِم مَوْلاهم؛ تفرَّد به محمَّد بن إسحاق». اهـ.
وقال الضياء: «وقد رُوِيَ عن أنَسٍ بغيرِ طريق».
وتابع إبراهيمَ بنَ سعدٍ: يونسُ بنُ بُكَيْر؛ عند الطحَاويِّ في «مشكِل الآثار» (١٧٤)؛ قال: «حدَّثنا إبراهيم بن أبي داود، ثنا محمَّد بن عبد الله بن نُمَيْر، ثنا يونس بن بُكَيْر».
وخالَفَهُ: سَلَمةُ بنُ الفضلِ؛ قال الإمام أحمد (١٣٧٩٨): «ثنا إسحاق بن إبراهيم الرازي، ثنا سَلَمة بن الفضل، قال: حدَّثني محمَّد بن إسحاق، عن عبد العزيز بن =

= مسلِم، عن عاصم، عن إبراهيم بن عُبَيْد بن رِفاعة، عن أنَس بن مالك؛ قال: «مَرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بأبي عيَّاشٍ زيدِ بنِ صامتٍ الزُّرَقيِّ وهو يصلِّي، وهو يقولُ: «اللَّهُمَّ، إنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، يَا مَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام»، فقال رسولُ اللهِ ﷺ لنفرٍ معَهُ مِن أصحابِهِ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا دَعَا بِهِ الرَّجُلُ؟**»، فقالوا: «اللهُ ورسولُهُ أعلمُ»، قال: «**لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».

تنبه: رواه الخطيبُ في «الأنباء المحكَمة» (ص٨٨ و٣٤٧)؛ مِن طريق إسحاق بن إبراهيم الرازي، عن سَلَمَة بن الفضل؛ ولم يذكُرْ عاصمًا.

**تنبيهٌ:** فيما يتعلَّقُ بزيادةِ عاصم بين عبد العزيز بن مسلِم، وإبراهيم بن عُبَيْد: ذكَرَ محقِّق «المسنَد»: أنَّ هذا وقَعَ في ثلاثِ نسخٍ خطيَّةٍ، وفي نسخةٍ رابعةٍ ليس فيها ذكرُ عاصم، وذكَرَ المحقِّق: أنَّ ابن حجَر أورَدَ هذه الزيادة في «أطراف المسنَد»، وأمَّا في «إتحاف المَهَرة»، فقد حذَفَها، وقال ـ أي: المحقِّقُ ـ: «وهو الصواب».

**قلتُ:** وما ذهَبَ إليه المحقِّقُ هو الأقرب؛ وذلك لثلاثِ قرائنَ:

الأُولى: أنَّ نسخ «المسنَد» لم تتفِقْ على هذه الزيادةِ؛ كما تقدَّم.

والقرينةُ الثانيةُ: أنَّ الخطيبَ البغداديَّ في كتابِهِ «الأنباء المحكَمة» قد رواه عن أبي بكرٍ المُقرِئ، عن الأصمِّ، عن الصاغاني، عن إسحاق بن إبراهيم الرازي، عن سَلَمَة بن الفضل، عن محمَّد بن إسحاق؛ بدون هذه الزيادة.

وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى إسحاق بن إبراهيم الرازي، به، وفي هذا الإسناد ـ كما تقدَّم ـ حصَلَ اختلافٌ بين نسخ «المسنَد» في ذكرِ هذه الزيادة، والخطيبُ قد رواه من طريق إسحاق بن إبراهيم الرازي الذي رواه الإمام أحمد عنه، ولم يذكُرْ هذه الزيادةَ ـ أي: الخطيبُ ـ فهذه قرينةٌ ثانيةٌ على عدَمِ صِحَّةِ هذه الزيادة.

القرينةُ الثالثة: أنَّ باقيَ الكتبِ التي أخرَجَتْ هذا الحديثَ مِن طريق ابن إسحاق ليس فيها هذه الزيادة.

فهذا كلُّه يؤيِّدُ عدَمَ صحةِ هذه الزيادة، وعلى فرضِ ثبوتِها: فإنها لا تضُرُّ؛ لأنَّ عاصمًا الأقرَبُ ـ والله أعلم ـ أنه عاصمُ بنُ عُمَرَ بنِ قتادةَ، وهو ثقةٌ، والله تعالى أعلم.

طريقٌ آخَرُ: قال أبو داود في «سننه» (١٤٩٥): «حدَّثنا عبد الرحمٰن بن عُبَيْد الله الحَلَبي، ثنا خلَف بن خَلِيفة، عن حَفْص ـ يعني: ابنَ أخي أنسٍ ـ عن أنس؛ أنَّه كان مع رسولِ الله ﷺ جالسًا، ورجلٌ يصلِّي، ثم دعا: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، يَا مَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الجَلَالِ =

= وَالإِكْرَام، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ»، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».
ورواه النَّسَائي في «الصغرى» (١٣٠٠) مِن طريق قُتَيْبة، قال: حدَّثنا خلَف بن خَلِيفة، عن حفص ابن أخي أنس، عن أنس بن مالك.
وقال الإمام أحمد في «مسنَده» (١٣٥٧٠): «ثنا عفَّان، ثنا خلَف بن خَلِيفة، ثنا حفص ابن أخي أنس، عن أنس بن مالك، قال: كنتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ جالسًا في الحَلْقة، ورجُلٌ قائمٌ يصلِّي، فلمَّا ركَعَ وسجَدَ فتشهَّد، ثم قال في دعائِه: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ...»، فقال النبيُّ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ؟**»، قال: «فقالوا: «اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ»، قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».
وقال الطَّحَاوي في «مشكِل الآثار» (١٧٥): «حدَّثنا فَهْد، حدَّثنا سعيد بن منصور، حدَّثنا خلَف بن خَلِيفة، عن حفص بن عمر، عن أنسٍ، قال: «كنتُ قاعدًا مع رسولِ اللهِ ﷺ في حَلْقةٍ، فقام رجُلٌ يصلِّي، فلمَّا ركَعَ وسجَدَ، وقعَدَ فتشهَّدَ ـ دعا، فقال: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام... يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ...»، فقال النبيُّ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ؟**»، فقالوا: «اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ»، قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».
قال الحاكم في «المستدرَك» (١/٥٠٣ ـ ٥٠٤) ـ ومِن طريقِهِ البيهقيُّ في «السنن الصغرى» (٤٦١) ـ: «أخبرَنا أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الصفَّار، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، حدَّثني أبو علي أحمد بن إبراهيم المَوصِليّ، ثنا خلَف بن خَلِيفة، عن حفْص ابن أخي أنس، عن أنس بن مالك، قال: «كنَّا مع النبيِّ ﷺ في حَلْقةٍ، ورَجُلٌ قائمٌ يصلِّي، فلمَّا ركَعَ وسَجَدَ، تَشَهَّدَ ودَعَا، فقال في دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ...»، فقال النبيُّ ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».
قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرطِ مسلمٍ، ولم يخرِّجاه، وقد رُوِيَ مِن وجهٍ آخَرَ، عن أنس بن مالك».
**قلتُ**: هذا الإسنادُ لا بأسَ به؛ وهو أقوى أسانيدِ هذا الخبر، مِن طريق أبي خُزَيْمة.
طريقٌ آخَرُ: قال الحاكم في «المستدرَك» (١/٥٠٤): «حدَّثنا أبو العبَّاس محمَّد بن =

= يعقوب، ثنا الرَّبيع بن سليمان، ثنا عبد الله بن وَهْب، أخبَرَني عِيَاض بن عبد الله الفِهْري، عن إبراهيم بن عُبَيْد، عن أنس بن مالك؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رجلًا يقولُ: «اللَّهُمَّ، إنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إلَّا أنتَ، المَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، ذُو الجَلَالِ والإِكْرَامِ، أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»، فقال النبيُّ ﷺ: «**لَقَدْ كَادَ يَدْعُو اللهَ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».

**قلتُ**: وهذا الإسنادُ فيه ضعف؛ مِن أجلِ عِيَاض بن عبد الله؛ فقد خرَّج له مسلِم، وذكَرَهُ ابنُ حِبَّانَ في «الثقات»، ولكنَّ الراجحَ أنه لا يُحتجُّ به؛ فقد تكلَّم فيه الجمهور.

وضعَّفه ابنُ مَعِينٍ، وقال البخاريُّ: «منكَرُ الحديث»، وقال أبو حاتم: «ليس بالقَوِيّ»، وقال الساجي: «روَى عنه ابنُ وهبٍ أحاديثَ فيها نظَرٌ».

ولكنَّ هذا الحديثَ قد جاء مِن طريقٍ آخَرَ:

فقد رواه إبراهيم بن سَعْد، عن ابن إسحاق، قال: «حدَّثني عبد العزيز بن مسلِم، عن إبراهيم بن عُبَيْد، عن أنس، وخالَفَهُ سَلَمةُ بنُ الفضل؛ فرواه عن ابن إسحاق، عن عبد العزيز، عن عاصم، عن إبراهيم، به؛ وهذا الاختلافُ لا يضُرُّ كثيرًا؛ لأنَّ عاصمًا الظاهرُ أنه ابنُ عُمَرَ بنِ قتادةَ؛ وهو ثقةٌ مشهور، وعبدُ العزيز ليس بالمشهور، روَى عنه بالإضافةِ لابن إسحاق: معاويةُ بنُ صالح، وذكَرَهُ ابنُ حِبَّانَ في «الثقات»؛ خرَّج له أبو داود وابن ماجه حديثًا واحدًا في المَسْحِ على العِمَامة، وإبراهيمُ بنُ عُبَيْدٍ صدوقٌ خرَّج له مسلِم؛ فهذا الإسنادُ صالحٌ لا بأس به، ويتقوَّى بالأسانيدِ الأخرى.

والخلاصةُ: أنَّ هذا الحديثَ بهذه الأسانيدِ الثلاثةِ ـ وإنْ كان كلُّ إسنادٍ بمفرَدِهِ ليس بالقويِّ تمامًا، ولكنْ باجتماعِها يثبُتُ هذا الخبَرُ، وهذا الحديثُ قد وقَعَ في ألفاظِهِ بعضُ الاختلاف، ولكنَّ أقوى هذه الألفاظِ ما جاء في روايةِ ابن أخي أنسٍ، وروايةِ إبراهيمَ بنِ عُبَيْد بن رِفَاعة، وروايةِ أنسِ بنِ سِيرين.

طريقٌ آخر: قال التِّرمِذيُّ في «جامعه» (٣٥٤٤): «حدَّثنا محمَّد بن عبد الله بن أبي الثَّلْج ـ رجلٌ مِن أهلِ بغدادَ أبو عبدِ اللهِ صاحبُ أحمدَ بنِ حنبل ـ حدَّثنا يونس بن محمَّد، حدَّثنا سعيد بن زَرْبِيٍّ، عن عاصم الأحوَل، وثابت، عن أنس، قال: «دخَلَ النبيُّ ﷺ المَسجِدَ ورَجُلٌ قد صلَّى، وهو يدعو ويقولُ في دعائِهِ: «اللَّهُمَّ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»، فقال النبيُّ ﷺ: «**تَدْرُونَ بِمَ دَعَا اللهَ؟ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».

قال أبو عيسى: «هذا حديثٌ غريبٌ مِن حديث ثابت عن أنس، وقد رُوِيَ مِن غير هذا الوجه عن أنس». =

= قلتُ: هذا إسنادٌ منكَر، وسعيد بن زَرْبِيٍّ منكَر الحديث، وقد استغرَبَهُ التِّرمِذيُّ مِن حديث ثابت، وحُقَّ له ذلك؛ فأين أصحابُ ثابت عن هذا الخبر؟!
طريق آخر: قال ابن بَشْكُوال في «غوامض الأسماء المبهَمة» (١/ ٣١٤): «الحُجَّةُ في ذلك: ما سمعتُهُ يُقرَأُ على أبي بكرِ بنِ العرَبيّ، قال: أنبا القاضي سعد بن عبد الله، قال: ثنا أبو نُعَيْم الحافظ، أنا أبو بكر بن خلَّاد، ثنا الحارث بن أسامة، ثنا سعيد بن عامر، عن
أَبَان بن أبي عيَّاش، عن أنس بن مالك؛ أنَّ أبا عيَّاش الزُّرَقيَّ قال: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الحَنَّانُ المَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»**.
وأخرجه الخطيب البغدادي في «الأنباء المحكَمة» (ص٣٤٧) مِن طريق أبي الفتح هِلَال بن محمَّد بن جعفر الحفَّار، وأبي الفتح محمَّد بن أحمد بن أبي الفوارس الحافظ، والحسَن بن أبي بكر؛ قالوا: «حدَّثنا أحمد بن يوسف بن خلَّاد العطَّار».
هذا الحديثُ وقَعَ في ألفاظه بعضُ الاختلاف:
ففي رواية خلَف بن خَليفة: «المَنَّانُ بديعُ السمواتِ والأرض...»، إلخ؛ وبزيادة: «يا حيُّ يا قيُّومُ».
وفي روايةِ ابن إسحاق: «يا مَنَّانُ»، وفي بعضِها: «يا بديعَ السمواتِ»، وليس فيها: «يا حيُّ يا قيُّومُ».
وفي رواية أنس بن سِيرين زيادةُ: «وَحْدَكَ لا شريكَ لك»، وليس فيها: «الحيُّ القيُّومُ»، وفيها «المَنَّانُ»، بدَلَ: «يا مَنَّانُ».
وفي رواية عِيَاض بن عبد الله الفِهْري: «أنتَ المَنَّانُ بديعُ السمواتِ والأرضِ»، وليس فيها: «يا حيُّ يا قَيُّومُ».
وفي رواية أَبَان بن أبي عيَّاش: «الحَنَّانُ المَنَّانُ»، بزيادة «الحَنَّان»، وليس فيها: «يا حيُّ يا قَيُّومُ».
وفي رواية سعيد بن زَرْبِيٍّ أيضًا: ليس فيها: «يا حيُّ يا قَيُّومُ».
**قلتُ**: وهذا الاختلاف لا يضُرُّ؛ فروايةُ خلَف بن خَليفة هي أقوى الرواياتِ وأتمُّها، بزيادة: «الحيُّ القَيُّومُ». وأمَّا: «يا مَنَّانُ»، أو بدونِ «يا» النداءِ، فهذا لا يؤثِّرُ، سواءٌ ذُكِرَ: «يا مَنَّانُ»، أو: «المَنَّانُ». وأمَّا زيادةُ: «الحَنَّانُ»، فهذه لا تَصِحُّ، بل هي زيادةٌ منكَرةٌ جِدًّا؛ والدليلُ على هذا مِن وجهَيْن:
الأوَّل: أنَّ أَبَانَ بنَ أبي عيَّاش متروك.
الثاني: أنها لم تأتِ في هذه الروايات؛ وهي أصحُّ مِن هذه الرواية.

**ومِن ذلك**: التوسُّلُ إلى اللهِ تعالى بالإيمانِ به وتوحيدِهِ؛ كما قال تعالى عن المؤمنينَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وكما قال تعالى عن يونسَ عليه السلام: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

**ومِن ذلك**: التوسُّلُ إلى اللهِ تعالى بالاعترافِ بالذنبِ؛ كما قال تعالى عن آدمَ وحوَّاءَ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣]، وكما فعَلَ يونسُ أيضًا.

**ومِن ذلك**: التوسُّلُ إلى اللهِ تعالى بإظهارِ الفقرِ والحاجةِ إلى اللهِ تعالى؛ كما قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [القصص: ٢٤].

**ومِن ذلك**: التوسُّلُ إلى اللهِ بالأعمالِ الصالحةِ؛ كما فعَلَ أصحابُ الغارِ الذين انطبَقَتْ عليهم الصَّخْرةُ؛ أخرجه البخاريُّ (٢٢١٥)، وفي مواضعَ أخرى، ومسلمٌ (٢٧٤٣)؛ مِن حديثِ ابنِ عمرَ، وجاء هذا الحديثُ عن غيرِهِ مِن الصحابة.

**ومع الأسفِ**: تَجِدُ أنَّ كثيرًا مِن الناسِ ترَكَ التوسُّلَ المشروعَ الذي جاء في الكتابِ والسُّنَّةِ، ووقَعَ في ضدِّ ذلك، حتى وقَعَ في الشركِ والبدعةِ؛ فلا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله.

وقد ألَّفَ أهلُ العلمِ مؤلَّفاتٍ بيَّنوا فيها التوسُّلَ المشروعَ، وذكَرُوا الأدلَّةَ على ذلك، وحذَّروا فيها مِن التوسُّلِ غيرِ المشروعِ الذي يجُرُّ إلى الشركِ والبدعةِ، وذكَرُوا فيها الشُّبُهاتِ التي يَحتجُّ بها مَن وقَعَ في ذلك، وردُّوا على هذه الشُّبَه.

**ومِن هذه المؤلَّفاتِ القيِّمةِ**: ما كتَبه الشيخُ محمد نَسِيب الرفاعيُّ رحمه الله تعالى، في كتابِهِ القيِّم «التوصُّلْ، إلى حقيقةِ التوسُّلْ»؛ فقد بسَطَ الأدلَّةَ في هذا الكتابِ، وناقَشَ هذا الموضوعَ على ضوءِ الكتابِ والسُّنَّةِ، وذكَرَ شُبُهاتِ المخالِفينَ، وردَّ عليها؛ فجزاه اللهُ خيرًا ورحِمَه.